النكبة في الرواية الفلسطينية

رواية رجال في الشمس لغسان كنفاني أنموذجا

د. طارق ثابت ـ جامعة باتنة 1

الملخص:

شهدت المرحلة التالية لنكبة 1948 بفلسطين، ما يشبه الصدمة وفقدان التوازن، وهى نفسها الفترة التي شهدت ميلاد إرهاصات البحث عن الذات والطريق؛ إرهاصات المقاومة، ومن هنا سوف نبحث عن خصوصية الرواية الفلسطينية لما بعد هذه الفترة كجنس أدبي معقد ورحب، متعدد الشخصيات والآراء والأحوال؛ متنوع الأزمنة والأمكنة مع الأخذ برواية رجال في الشمس لغسان كنفاني أنموذجا.

Résumé

La catastrophe dans le roman palestinien

Des homes sous le soleil de Ghassan Kanafani modèle

La période qui a suivi la Nakba (catastrophe) de 1948 en Palestine, a connu une sorte de choc et perte d'équilibre, cette période elle même qui vu la naissance de la recherche de soi et la voie ; la naissance de la résistance. De là, nous allons étudier la spécificité du roman palestinien après cette période en tant que genre littéraire complexe et large, avec sa multitude de personnages d'avis et de circonstances, car il est pluri spatial et temporal, en mettant l'accent sur le roman de Ghassan Kanafani « des hommes sous le soleil », choisi comme corpus à cette étude.

أولا– مقدمة: إن الرواية الفلسطينية التي ظهرت في الشتات، قدمت صورة عن طبيعة المجتمع الفلسطيني الذي تشكّل بعد ذلك العام، في الوقت الذي تعتبر فيه هذه الرواية جزءاً لا يتجزأ من المتن الروائي الفلسطيني، وأن ملامح هذه الرواية بالذات، قد حدّدت ملامح خاصة للسرد الفلسطيني عموما. وكمدخل لهذا البحث يجب أن نعرف رواية الشتات أو رواية المنفى، بهدف تحديد إطارها، فهل هي رواية الفلسطيني المقيم خارج حدود فلسطين التاريخية، بغض النظر عن هوية النص؟ أم هي رواية الفلسطيني التي تدور حول الموضوع الفلسطيني؟ أم هي الرواية الفلسطينية التي جعلت من كاتبها الفلسطيني ومن ذاتها جزءاً من الوعي الفلسطيني بذاته عبرها؟ فما هو مفهوم الشتات؟.

هل مفهوم الشتات يرتبط بوجود التجمعات الفلسطينية (المخيمات أو تجمعات العمل والإقامة)، أم حيث يوجد الروائي الكاتب؟ وعلى هذا فإن الكثير من الدارسين يؤكدون انه من"الأصوب القول برواية فلسطينية في المنفى، وليس برواية فلسطينية في الشتات، ذلك أن مفهوم الشتات مسّ وحدة المجتمع الفلسطيني، فيما تشكل الوعي في المنفى على قاعدة فقدان الأرض؛ التي حققت خاصية هامة للرواية الفلسطينية المكتوبة بعد عام 1948، حتى ولو أنها صدرت في الأرض الفلسطينية المحتلة"[1]؛ لأن الفلسطينيين الذين احتلت بلادهم، وتشتت خارجها معظم سكانها، إلاّ أنهم جميعاً عانوا من فعل النفي، حتى لو كانوا مازالوا يقيمون على أرضها.

رغم التداخل في الدلالة بين المصطلحين، إلاّ أن مصطلح المنفى، يمنح دلالة خاصية للنص الذي نبحث فيه، والذي دار حول عنصر المكان، وعبّر عن حالة مختلفة عن حالة الشتات التي عرفها "اليهود" على سبيل المثال.

وذلك أنه "حدث وأن ظهرت رواية فلسطينية مرتبطة بتجمع فلسطيني كبير (الأردن)، كتبها فلسطينيون، وتناولت موضوعات فلسطينية، لكنها تحوّلت بعد أن كف ذلك التجمع بعد عام 70 عن التفاعل مع صيرورة الوعي الفلسطيني بذاته، إلى جزءٍ من المكوّن الحديث للرواية الأردنية.

الأمثلة كثيرة بالطبع، وتتعلق بالسؤال كيف نقرأ: جمال ناجي، إبراهيم نصر الله وسواهما؟"[2]؛ فإذن رواية المنفى هي جزء من المشروع الروائي الفلسطيني، الذي تعرّض إلى انعطافة بعد عام 1948، وارتبط ارتباطاً وثيقاً بمشروع منظمة التحرير الفلسطينية وباقي الفصائل وهي تعني بأنها رواية تعي ذاتها وتتوق إلى العودة، ولا تتعامل مع واقعها في الشتات باعتباره حالة دائمة، ويجدر بنا أن نشير أن هناك مرحلتين رئيسيتين في تطور الرواية الفلسطينية[3] في المنفى؛ المرحلة الأولى: وهي مرحلة الشعور بوعي الذات، ونموذجها البارز غسان كنفاني.

أما المرحلة الثانية: فهي مرحلة معايشة الوعي بالذات، وهي مرحلة الثورة الفلسطينية، ومن المعبرين عن هذه المرحلة: يحيى يخلف، ليانة بدر، عمر شاهين.. وغيرهم.

والنصوص الروائية التي ظهرت بعد النكبة، وربما بعد سنوات طويلة منها، وتناولتها، فإنها لم تقدم شهادة كاملة عنها، بل مقاطع تراجيدية عنها فقط، ومن بين هذه الروايات على سبيل المثال رواية بئر الشوم، لفيصل الحوراني.

وهذا التراجيدية في الطرح الروائي هي التي يسميها أحد الدارسين بالزمن الحزني[4] ويقدم نماذج روائية يطلق عليها "روايات الزمن الضائع" مثل: طريق فلسطين لعلي أبو حيدر 1959، دموع لا تجف لنبيل انشاصي 1959، دقت الساعة يا فلسطين ليوسف سالم 1962، شقاء إلى الأبد لعوني مصطفى 1963، الفردوس السليب وضمير وقلب لسمير قطب 1963، ضحية بريئة لعوني مصطفى 1964، حبّات البرتقال لناصر الدين النشاشيبي 1962، وعناصر هدّامة ليوسف الخطيب 1963م.

وتقول الباحثة رفيقة البحوري عن هذه الروايات بأنها كانت تدويناً مباشراً للمأساة، اتسمت بالتسجيلية والخطابية. ويضيف قائلاً " بأنها طفحت بالنواح والبكاء فقط، ولم تشر إلى المستقبل أو إمكانية الفعل"[5]. وزمان الرواية الفلسطينية في المنفى يكاد يكون مدوّراً، أي ثابتاً عند اللحظة المركزية – لحظة النكبة –؛ وهذه الرواية إذا كانت لم تقم بتسجيل النكبة، لأسباب مختلفة، فإنه يمكن القول بأن الرواية الفلسطينية مازالت حتى اللحظة، تسعى إلى كتابة رواية النكبة، التي قد لا تجيء عبر نصٍ واحد[6]، بل يمكن أن تكون عبارة عن رواية جماعية، أي عشرات النصوص التي يكتبها جيل روائي بأكمله. ورويات مثل رجال في الشمس، ما تبقى لكم لغسان كنفاني والطريد لنواف أبو الهيجا هي محاولات لاجتياز الزمن الفلسطيني الصعب بكل سلبياته وتعقيداته، وهي "تتأرجح بين نقطتين: السؤال وبداية الفعل. والسؤال هو نتاج المرحلة الماضية، وبداية الفعل هي بداية مرحلة جديدة"[7].

ثانيا– هيكلية الرواية: كتب كنفاني هذه الرواية في أوائل عام 1962 ، حين اضطر للاختباء في بيروت؛ لأنه لم يكن يملك أوراقًا رسمية، وقد ترجمت هذه الرواية إلى لغات كثيرة[8]، وقد حولت إلى فلم سينمائي أخرجه توفيق صالح بعنوان المخدوعون وقد فاز هذا الفيلم بعدد من الجوائز : جائزة مهرجان قرطاج في تونس، وجائزة مهرجان الأفلام الكاثوليكية في باريس، وجائزة حقوق الإنسان في ستراسبورغ.

تتألف الرواية[9] من سبعة فصول، الفصول الثلاثة الأولى هي عبارة عن فصول تمهيدية تتحدث عن الشخصيات الثلاثة الرئيسية والتي تمثل المعاناة الفلسطينية والإذلال بعد نكبة 48، وهم يمثلون أيضا ضحية الواقع الفلسطيني والعربي بشكل صارخ ...، فيتحدث كل فصل عن شخصية وعن ظروفها والمسببات للتفكير بالهجرة هربا إلى الكويت.

تتحدث الفصول الثلاثة الأولى عن الشخصيات الفلسطينية الثلاثة التي تمثل قمة البؤس والمعاناة الفلسطينية بعد نكبة 1948 .... وهي تجسد مرارة اللجوء والطرد والعيش في المخيمات بعد فقدان الأرض والبيت والشجر......، فأبو قيس: رجل عجوز يقيم في مخيم في الأردن، واسعد شاب في العشرين ترك العمل الوطني والنضالي بعد أن ضاق مرارة العذاب باحثا عن طرق أخرى، أما مروان فهو فتى في السادسة عشرة من عمره يعيل أسرته بعد زواج أبيه على أمه وانقطاع دعم أخيه المغترب "زكريا" للبيت، ويقحم الكاتب في الفصل الثالث شخصية" أبو الخيزران" وهو رجل فاقد لرجولته بسبب حرب الـــ48، يعمل سائق شاحنة لأحد أثرياء الكويت (الحاج رضا)؛ حيث يلتقي بمروان ويتفق معه على تهريبه فقط بخمسة دنانير مراعاة لظروف مروان بشرط أن يحضر له فلسطينيا آخر(اسعد) لان التهريب صعب ولا يتم إلا بشكل جماعي ومع أبو قيس، وبعد الاتفاق على الوسيلة (الاختباء داخل خزان مائي فارغ) على سطح الشاحنة أثناء عبور الحدود ...وبالرغم من خطورتها وعدم أمنها وارتفاع درجة حرارة الخزان بسبب تعرضه المباشر للشمس إلا أن البدائل غير متاحة أمام الثلاثة ..،فتتم الصفقة والاتفاق وهذا ما يتحدث عنه الكاتب في الفصل الرابع.

أما في الفصل الخامس المعنون بالطريق، ففيه تصاعد الحبكة والأزمة في الرواية؛ حيث يتناول الكاتب في هذا الفصل تنفيذ الاتفاق وهو وسيلة التهريب من البصرة إلى الكويت، وبما أن السفر عبر الصحراء الشاسعة والحارقة فان مشاق السفر تكون في مهلكة وتصل أوجّها حين تقترب الشاحنة من الحدود الكويتية ومركز تفتيش الحدود، عندها تقف الشاحنة لتنفيذ المهمة الخطرة وهي صعود الثلاثة داخل الخزان الذي وصف بجهنم من شدة حره لمدة سبع دقائق وفعلا تتم العملية الأولى بنجاح وتقف الشاحنة بعد ابتعادها عن مركز التفتيش، ومن هنا نجد أنفسنا في الفصل السادس المعنون بـــالشمس والظل، حيث يخرج الثلاثة من الخزان وقد استنفذوا جل قواهم في الصبر والاحتمال....ويتبادلوا المواقع داخل الشاحنة إلى جانب أبو الخيزران....وسط حر مدقع وصحراء حارقة.....إلى حين يقترب أبو الخيزران من موقع التفتيش النهائي فيقوم بوقف الشاحنة ويطلب منهم أن يستريحوا عند ظل الشاحنة تمهيدا للمشقة الأخيرة والاختباء داخل

الخزان لمدة سبع دقائق أخرى، يدخل الثلاثة بتردد للخزّان، وتصل الشاحنة المعبر الحدودي وينزل أبو الخيزران مسرعا، يعرض أوراقه على الموظف بانتظار إمضائها، وهنا تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن؛ يأتي تعطيل متعمد من موظف الحدود، وهو يحاول متعطشا الاستفسار عن عشيقة مزعومة اسمها كوكب لأبي الخيزران في بغداد، والرجال الثلاثة داخل الخزان الشديد الحرارة ولم تشفع محاولات أبو الخيزران قمع الموظف المتعطش للجنس أكثر من مرة حين سأله التوقيع وترجاه تسريع المهمة، فيتأخر أبو الخيزران ضعف الوقت المحدد ويخرج مسرعا ويقود الشاحنة بأسرع ما يملك و حين يصل لمكان آمن ينزل بسرعة ويفتح الخزان ويصرخ وينادي بلا مجيب إلا صدى صوته داخل الخزان، يقرر النزول داخله ، ويكتشف أن لا حياة للثلاثة.....أجساد بلا روح ....مات الفلسطينيون الثلاثة .....داخل الخزان عند المعبر الحدودي.

الفصل الأخير والمعنون بالقبر، هو المكان الذي يفكر أبو الخيزران فيه أن يخفي الجريمة، ويلقي الأجساد الهامدة الثلاثة فيه؛ فيقرر بدايةً دفنها في رمال الصحراء إلا أنه يختار مكبا للنفايات حيث ستجدهم البلدية هناك وتدفنهم داخل الكويت في مقابر، وبعد إلقائهم هناك يعود أدراجه ويسرق ما بحوزتهم من نقود، وحين يمضي في ركوب الشاحنة يفاجئه استفسار ملحّ والذي على أساسه بنيت القصة فيما بعد "لماذا لم يدقوا جدران الخزان"[10]، بهذا السؤال الفاجع تنادي الرواية الفلسطيني وتحتج على رضوخهم لواقعهم السيئ وتحضهم على الاحتجاج والرفض وتقول لهم أيضا بأن لا فائدة من الهرب من أرض فلسطين المحتلة هربا من الموت جوعا فهاهم يموتون رعبا بعيدا عن أرضهم الفلسطينية.

ثالثا- مكان الشتات ومرحلة البحث عن المعنى: رغم التجريبية التي امتازت بها التجربة الروائية للراحل غسان كنفاني[11]، ورغم عدم اكتمال مشروعه الروائي وهو الذي ارتحل من عالم الأحياء ولم يتجاوز السادسة والثلاثين، وترك عدداً من النصوص الروائية الناقصة، إلاّ أنه قدم نصوصاً روائية تعتبر نموذجاً لهوية الكتابة الفلسطينية قبل ظهور الثورة، بل وبشّر بها عملياً. فروايته هذه تناولت ظاهرة فلسطينية بامتياز في حينها، عبر رحلة البحث عن خلاصٍ ذاتي بالتوجه إلى العمل في دول النفط، فإنها كانت بحثاً عن الوعي الوطني المفقود، الوعي بالذات الفاعلة، غير المتكئة على أحد أو غير الاتكالية، وكانت أيضاً تعبيراً عن تراجيدية فلسطينية معاشة.

وهكذا اعتبرت رواية غسان رواية تحريضية على الثورة ومبشرة بها[12]، في وقت لم تظهر فيه إشاراتها الأولى بعد، وهي قد تجاوزت أسر

لحظة النكبة، وأعادت للشخصية الروائية باعتبارها شخصية تحاكي الواقع، أو أنها نموذج يدفع الواقع لاقتفاء أثره، زمانها أي دفعتها للانخراط في اللحظة الناجمة عن النكبة، بهدف تجاوزها.

وإذا ظل الفلسطيني المقيم في عمّان أو دمشق أو بيروت أو بغداد، مسكوناً في الوقت ذاته بحيفا أو يافا أو الناصرة، فإن معادلة الروائي كان على شاكلته أيضاً، فكان المكان/ المنفى، في الرواية الفلسطينية –على الأغلب– مكاناً معادياً، أو على الأقل عديم الإثارة في نفس الشخصية الفلسطينية الروائية، وهذا ما نجده في هذه الرواية بالذات.

وإذا كان المكان عموماً ينقسم إلى ثابت ومتحرك، فإن "شكله الأول في الرواية الفلسطينية في الشتات كثيراً ما جاء على شكل سجن أو صحراء أو مخيم، فيما جاء الثاني على شكل سيارة كما في رواية (رجال في الشمس) أو مركباً (السفينة) أو قاعة ترانزيت (أرق الليلة الفاصلة/ رواية منيف الحوراني)، وما توحي إليه هذه الأمكنة من دلالة إلى مكانٍ عابر أو مؤقت"[13].

ربما كان من الصعب على الكاتب الفلسطيني في الشتات أن يقدم رواية فلسطينية مفعمة بالخصوصية، دون أن يقدمها في إطار بيتي خاص، هو غير متحقق في الواقع، فحتى المخيم، محكوم بجملة من العلاقات الاجتماعية والقوانين الخاصة بدولة أخرى. وربما كان هذا السبب أيضاً، الذي منع الروائيين الفلسطينيين من النظر إلى المكان / المنفى على أنه مكان معادٍ تماماً، نظراً إلى أنه غالباً ما كان مكاناً عربياً، قد ساهم بتقديم نص روائي فلسطيني ذهني على الغالب وتجريدي، تحركت عبره الشخوص عبر أثير الذاكرة، أو عبر أثير السرد في إطار الحكاية، ونظراً أيضاً إلى أن مجتمع الرواية المفترض أنه منقول عن مجتمع في الواقع، فإن الروائي أيضاً كان "أمام خيارين أحلاهما مرّ: فإما يقدم مجتمع الواقع الراهن المخيم باعتباره مجتمعاً منقوصاً، غير تام الخصوصية، أو مجتمع اللحظة الماضية. هكذا يتضح بأن معضلة الرواية الفلسطينية في الشتات، إنما هي من معضلة الواقع ذاته"[14].

رابعا– رمزية الشخصيات في رواية رجال في الشمس:

لقد تمت صياغة الرواية في إطار رمزي يتسم بالبساطة والمباشرة، وقد حاول تقديم قصة ذات أبعاد رمزية ليعلن إدانته لابتعاده عن أرض فلسطين، كما أن رمزية القصة، تبدو في لغتها السردية، فنلاحظ غلبة الضمير الغائب الذي يردده، ويعبر عن العجز البنيوي العام الذي يسم

المرحلة الفلسطينية المعنية، وعن غياب الشخصية الوطنية النضالية المستقلة للشعب الفلسطيني.

تمت صياغة القصة في إطار رمزي، تعانقت فيه الوجهة الرمزية للمأساة والوجهة الواقعية، والوجهة الرومانسية أحيانًا،أما الثاني منهما ، فهو ما نطلق عليه الرمز الكلي، ونعني به رمزية العمل الروائي أو القصصي كليًا: هدفًا، وفكرة، ومعالجة ً في آن معا، فالقصة تمثل هجرة بعد هجرة، وهروبًا بعد هروب، هروبًا وهجرة من الواقع المرير، إلى هروب آخر من موظفي الجمارك، إلى هروب وهجرة من الدنيا ومفارقتها.

شخصيات الرواية وأحداثها، هي شخصيات تمثل الواقع الفلسطيني والعربي، وإن بدا اختيارها غريبًا ؛ لما اتصفت به من أوصاف التردي، فهي شخصيات تبدو واقعية في جوانب عديدة منها، كما أنها شخصيات مأزومة معانية، يلاحقها الواقع بمأساويته، كما يلاحقها الآخر، غير أنها لم تفقد الجانب الإنساني، وليس أدل على ذلك من تلك الصرخة التي أطلقها أبو الخيزران في نهاية القصة " :لماذا لم تدقوا جدران الخزان؟ لماذا؟ لماذا؟".

والهدف الذي قصده المؤلف ،هو الاستهجان والإدانة للحظة ، فالخلل في الشخصيات ، هو خلل تاريخي ، وهو النكبة الأولى، وهذا الخلل ناتج عن العجز عن تغيير الواقع الذي هربوا منه؛ لأن البطل يموت مدانًا، مع أنه كان بوسعه أن يموت غير مدان، إن أن هذه الشخصيات محكومة بشرط خارجي.

ولكن هذا الشرط الخارجي، بكل ما فيه من عوامل الهوان والتضييع، وهذا الخلل الداخلي بكل ما فيه من قدرة على الإسقاط، والتطوع هما من صنيع الخلفية التاريخية المهزومة عام النكبة .إنهم محرومون من السفر العلني الذي يتمتع به غيرهم من الناس، لمجرد كونهم فلسطينيين لاجئين، مهزومين في معركة سابقة على بدء سفرهم ... لقد قتل المتنبي لأنه أصر على أن الخيل والليل والبيداء تعرفه[15].

لكن الأمر معكوس في "رجال في الشمس." لحظة السقوط المدمر نتاج ضمور الذات، تقلصها وانكماشها، قبولها بالذل والهوان . ترى لو قرعوا جدران الخزان، وانكشف أمرهم ستكون النتيجة أكثر من الموت؟ !لا حتمًا، لأنه ما من شيء يمكنك أن تدفعه أكثر من حياتك.

فأن تموت في خزان، يعني أنك هش البناء ساكن هزيل الطبيعة، وأن تموت في حومة المعركة، يعني أنك رجل صلب، مصيرك هويتك، وهويتك مصيرك.

لقد جاءت رواية رجال في الشمس في مدة ما بعد الخمسينيات تحديدًا؛ لتحاول إيجاد مبررات استمرارية الكفاح الثوري المسلح، تجسيدًا للصمود والتصدي لواقع مأزوم مؤلم ، يعيشه الشعب بأكمله داخل الأرض المحتلة وخارجها، وجاءت نماذج أبطالها منتقاة من الواقع ذاته، ومثلت عن اصر متعددة من الشعب الفلسطيني .

وجاءت أقرب إلى تجسيد مقولة الناقد شكري عياد بهذا الصدد، حيث يقول ": إن النقطة الجوهرية في الوعي ليست في اعتماده على الواقع الموضوعي، بل في التوجيه الذي يقدمه إلى الناس، وما يعلمهم إياه وإمكان أن يصبح دليلهم للعمل"[16]

وبرغم هذا كله فقد أخذت قصة رجال في الشمس، من الرمز وسيلة للتعبير والتصوير،غير أن هذه الرمزية قد اعتمدت بعدين اثنين أساسيين في المعالجة الأدبية ، الأول منهما هو ما يمكن أن نسميه بالرمز الجزئي، وهو تضمين العمل بعض رموز يمكن أن يستقيها أو يستخلصها المتلقي من السياق أو من بعض الأسماء المعبرة ، ذات الدلالات المباشرة في العمل ، وهى كثيرة ومتعددة ، نذكر منها:

أ- **العنوان**" رجال في الشمس " رمز إلى حجم المعاناة لهؤلاء الرجال وشدة الحرارة التي واجهها أبطال القصة، سواء في البصرة، أو الصحراء ، أو داخل الخزان،أو موتهم حرًا.

ب- **أبطال القصة الثلاثة** : أبو قيس، أسعد، مروان : رمز للشعب الفلسطيني كله، الذي يمثلونه- بفئاته العمرية المختلفة، الذين لا يستطيعون أن يروه قبرًا - خير تمثيل لهم ، فهم موتى بلا قبور، أي موتى في قبر الخزان، فهو الذي رضي بنكبة 1948 ولم يرفض حتى أو يصرخ. وحكم الكاتب على الإدانة على شعب بأسره، فنحن لا نتعلم من هز ائمنا السابقة، لأنه لو تعلمنا لما وصل حالنا إلى هذا الوضع.

ج- **أبو الخيزران** : تلك الشخصية الجبانة، وهذا الرجل العنين، المهزوم، رمز القيادة الفلسطينية الفاشلة المهزومة، والعاجزة عن مقاومة الاحتلال الصهيوني في زمن النكبة وما بعدها، وهو الذي يحملهم إلى الموت، قيادة لا تفي بوعودها، ولا تتحمل مسؤولياتها، ولا شك أن عجز هذه القيادات من الأسباب الرئيسة التي أدت إلى النكبة والتشرد، كذلك دليل العجز والسكوت على ما جرى، مع أنه كان يعلم مصيرهم

د- موظفو الجمارك الحدودية : أبو باقر / رمز المسئول العربي الرسمى التافه الذي لا يقدر المسئولية، وينشغل بتوافه الأمور عن عظائمها، ورمز للبيروقراطية الفاسدة والمستغلة.

ه- **الصحراء** : بطل مركزي في القصة، إنها المساحة الفاصلة بين الحياة والموت، هى الفراغ السياسي، وهى مشوار لا ينتهي من العذاب دون أمل بإمكانية الوصول إلى الهدف المنشود، فالصحراء موجودة في كل مكان بالنسبة للفلسطيني، وهي رمز لبعد مأساوي، وترجمة لأحوال الشعب الفلسطيني عند غسان كنفاني.

و- **الخزان** : رمز الحصار والسجن والقبر والموت الذي يتجه نحوه الشعب الفلسطيني بقيادته الفاسدة، وتشخيص للوضع العربي المقفل اللاهب على أرض الصحراء العربية؛ فهو صورة الجحيم الفلسطيني، هو ذروة المأساة التي يعيشها الفلسطينيون في المنفى ، هو السجن الكبير الذي عليهم أن يحطموا جدرانه إذا أرادوا البقاء.

ي- **الموت** : رمز الهروب إلى الحياة الجديدة، ورمز المخاض العسير الذي سيفضي عن مولود جديد ورمز الليل الفلسطيني المظلم الذي ينبلج عنه فجر جديد وهو الثورة الفلسطينية[17].

خاتمة: لقد حاول كنفاني في هذه الرواية، أن يقول للمتلقي: عليك أن تبقى في أرضك ، وأن تتشبث بها برغم ضياع أشياء كثيرة، فترك الأرض والهجرة إلى رغيف الخبز مصيره الهلاك، وعدم الحصول على شيء، فخير لك أن تعيش في أرضك، أو تظل على مقربة منها على الأقل، ففي التجذر الحقيقي بالأرض كنز الهوية، والكيان ،والوجود الحقيقي. وعليك أيها الفلسطيني ألا تتبع القيادات العاجزة التي هى كأبي الخيزران؛ فإنسان كنفاني في هذا العمل ممزق، يريد أن يعيش بعد أن يجمع أشلاءه، وفى محاولة للحياة يواجه

الفشل، فلا يستسلم ويصبر إلى النهاية وهى الموت الذي تولد منه الحياة، وقد اختار الكاتب شخصياته على هذا النحو؛ ليتم له الموقف النقدي، والتعرية؛ لأنها تمثل أجيالا فلسطينية مختلفة، كما تمثل مددًا زمنية متعاقبة.

الهوامش:

[1] البنية الرّوائية لمسار الشعب الفلسطيني، أفنان القاسم، ط1، وزارة الثقافة والفنون، بغداد 1978، ص61.

[2] الرّواية في الأدب الفلسطيني، أحمد أبو مطر، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، ط1، 1980، ص250.

[3] فلسطين في الرواية العربية ، صالح أبو أصبع،1975 ، ط1. مركز الأبحاث، بيروت 1975، ص245.

[4] الأدب الرّوائي عند غسّان كنفاني، رفيقة البحوري، دط، دار التقدّم، تونس 1982، ص92.

[5] المرجع السابق ، ص96.

[6] مثل رواية بحيرة وراء الريح، ليحيى يخلف على سبيل المثال وهي في ثلاث أجزاء.

[7] البنية الرّوائية لمسار الشعب الفلسطيني، أفنان القاسم، ص102.

[8] غسان كنفاني إنسانًا وأدبيًا و مناضلا ، د . إحسان عباس وآخرين بيروت – ط 1، 1974 ، ص 45.

[9] رجال في الشمس، غسان كنفاني، نشر مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ،1998،ط4.

[10] رجال في الشمس، 1963، ط 1 ، ص93 .

[11] ولد غسان كنفانى في عكا عام 1936 م، وعاش في يافا ، واضطر إلى النزوح عنها مع عائلته بعد نكبة 1948 تحت ضغط القمع الصهيوني؛ حيث أقام مع ذويه لفترة قصيرة في جنوب لبنان، ثم انتقلت العائلة إلى دمشق، حيث عمل مدرسًا للرسم والرياضة في مدارسها الرسمية، انتقل إلى بيروت1960 ، حيث عمل محررًا أدبيًا لجريدة الحرية الأسبوعية، ثم أصبح عام 1963 رئيسًا لتحرير جريدة المحرر، كما عمل في الأنوار والحوادث حتى عام 1969 ، حين أسس صحيفة الهدف الأسبوعية ، وبقى رئيس تحرير لها حتى استشهاده في الثامن من أوت عام 1972 م" نشر روايته الأولى رجال في الشمس" سنة1961، حصل على جوائز عديدة منها جائزة أصدقاء الكتاب في لبنان عام 1966 ، وجائزة منظمة الصحافيين العالمية عام 1974م، وجائزة اللوتس عام 1975م .له العديد من المؤلفات فى شتى المجالات الأدبية والنقدية والصحفية ، وقد ترجمت هذه الرواية إلى العديد من اللغات العالمية. ينظر: غسان كنفاني إنسانًا وأدبيًا ومناضلا، د . إحسان عباس فضل وآخرين، 1974 ، بيروت ط 1، ص 45 .

[12] أدب المقاومة – غالى شكري – دار المعارف – القاهرة ، ط1،1971، ص169.

[13] "تجربة البحث عن أفق، مقدّمة لدراسة الرّواية العربية بعد الهزيمة، الياس خوري، ط1، مركز الأبحاث في م ت ف، بيروت، 1974، ص86.

[14] "انعكاس هزيمة حزيران على الرّواية العربيّة"، شكري عزيز ماضي،. ط1. المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت 1978، ص125.

[15] أدب المقاومة ، غالى شكري ، دار المعارف ، القاهرة ، ط1،1971، ص129.

[16] الأدب في عالم متغير، شكري عياد، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة، 1971، ص131 .

[17] الأدب الرّوائي عند غسّان كنفاني، رفيقة البحوري، دط،. دار التقدّم، تونس 1982، ص108.